لماذا يكذب القادة؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية.

د. عوض سليم خليفة
كلية التربية/ قسم علم الاجتماع

هذا الكتاب من تأليف جون جي. ميرشيمر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو الأمريكية، قام بترجمته إلى اللغة العربية غانم النجار أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت. كتاب صغير الحجم لا يزيد عدد صفحاته عن مائة وخمسين صفحة، وهو من ضمن إصدارات سلسلة عالم المعرفة الشهرية التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ويحمل الكتاب في هذه السلسلة رقم 443 عن شهر ديسمبر 2016م.

يحتوي الكتاب على مقدمة للمترجم ،وتوطئة ومقدمة للمؤلف، ويتضمن عدد ثمانية فصول وخلاصة، اعتمد المؤلف في إعداده على قائمة كبيرة من المصادر والمراجع جاءت في 37صفحة .أشار المترجم في مقدمة الكتاب إلى أن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا في رصد ظاهرة الكذب عبر التاريخ في العديد من الدول الغربية ،ولم ينس في ذلك كذب إسرائيل على العالم لتبرير احتلالها واغتصابها لفلسطين، خصوصا أنه كان قد وضع للمكتبة الدولية كتابه المهم والمؤثر ((اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية))، الذي خلق جدالا واسعا ومازال داخل أمريكا وخارجها وربما كان هذا الكتاب هو الذي دفع اللوبي الإسرائيلي إلى إصدار كتاب مضاد بعنوان "اللوبي العربي". وذكر المترجم في مقدمته أن المؤلف قد انطلق من فرضية أن هناك وظيفة قد تكون مفيدة للكذب في السياسة الدولية.

أما المؤلف فقد أكد في مقدمته على أن القادة يكذبون دوليا لسببين مختلفين، فهم قد يكذبون خدمة للمصلحة الوطنية (لبلدانهم). وهذا ما يعرف ب "الكذبة الاستراتيجية" والتي عادة ما يستخدمها القادة ذريعة للحفاظ على مصلحة بلدانهم في وجه التقلبات السياسية مع الغير. كذلك فإن القادة يكذبون " أكاذيب شخصية أنانية"،

لا علاقة لها بمصلحة الدولة، ولكنها موجهة للحفاظ ولحماية مصالحهم الشخصية. وأكد على أنه عندما يستخدم عبارة الكذب الدولي، فإنه يعني بها الكذب الاستراتيجي، وليس الكذب للمصلحة الشخصية. وأهتم المؤلف في تحليله للكذب الاستراتيجي على أربعة أسئلة هي:

1) ما أنواع الأكاذيب الدولية التي يطلقها القادة؟

2) لماذا يكذبون؟ وما المبررات المنطقية الإستراتيجية وراء كل نوع من أنواع الكذب؟ وبالتحديد، ما المنافع المحتملة للكذب التي دفعت القادة إلى الدخول في مثل هذا السلوك المشين؟

3) ما الظروف التي تجعل من حدوث أي نوع من الكذب أكثر أو أقل احتمالا؟

4) ما التكاليف الكامنة للكذب، وما مدى تأثيرها في السياسة المحلية للدولة، وكذلك سياستها الخارجية، وبعبارة أخرى، ما الجانب السلبي للكذب الدولي؟

وأكد المؤلف على أنه سيتطرق في الكتاب إلى المنافع والأضرار الناتجة عن الأكاذيب المختلفة التي يطلقها رجال الدولة والدبلوماسيون بعضهم على بعض وعلى شعوبهم أيضا. وأهتم المؤلف في الفصل الأول من الكتاب بتعريف القارئ لمفاهيم الكذب والتلفيق والكتمان والإخفاء أو التستر، وهي كلها من أنواع الخديعة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق.

أما الفصل الثاني من الكتاب فقد خصصه المؤلف لذكر أنواع الكذب في السياسة الدولية وركز فيها على خمسة أنواع من الأكاذيب الاستراتيجية: الكذب بين الدول . وإثارة الذعر . والتغطيات الإستراتيجية . وصناعة الأساطير القومية . والأكاذيب الليبرالية.

وخصص المؤلف لكل نوع من هذه الأنواع فصلا مستقلا وهي الفصول من الثالث إلى السابع. فيما خصص الفصل الثامن لتناول الجانب السلبي للأكاذيب الدولية.

أما الفصل التاسع فقد تضمن خلاصة الكتاب جاء فيها:

" ..... من المحتمل أن تؤدي هذه السياسة الخارجية الطموحة إلى خلق كثير من المواقف والأوضاع التي سيجد قادة الولايات المتحدة فيها أنفسهم مضطرين إلى استراتيجية. إثارة الذعر، ولابد من أن نتذكر أن القادة الذين يكذبون على شعوبهم في الأعم الأغلب هم أنفسهم قادة الديموقراطيات التي تخوض حروبا باختيارهم في مناطق بعيدة. وينطبق هذا الوصف تماما على الولايات المتحدة. ويمتد أيضا إلى تفسير أكاذيب وخداع حكومة بوش التي أطلقتها قبل شن الحرب على العراق في العام 2003. ولكنها بالتأكيد ليست الحكومة الأولى التي تلجأ إلى سياسة إثارة الذعر، ولن تكون الأخيرة"

ويختتم المؤلف كتابه بقوله "..... بالطبع هذه أخبار سيئة، لأن إثارة الذعر تقتصر على كونها مدمرة للمؤسسات الديموقراطية لكنها قد تقود إلى كوارث، كما حدث في العراق وفيتنام " لقد شهد شاهد من أهلها، أنه كتاب جدير بالقراءة، ويفسر ما يحدث وما سيحدث في هذا العالم المليء بالأكاذيب التي تنطلي على البلدان التي ما زالت تصدق ما يقوله قادة الغرب، وتنتظر الحلول لكافة مشكلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وربما حتى العائلية.